

أثر الدلالة في فهم النص

أ/ درويش حياة
جامعة وهران

لقد اختلف الباحثون في تحديد مصطلح الدلالة تبعاً لاختلاف عصورها من جهة. واختصاصاتهم من جهة ثانية اختلافات عدة. والدلالة في عرف اللغويين هي ما اتصلت باللفظ اذ تمثل في منظورهم "كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه".¹

إن هذا التحديد الاصطلاحي لا يمكنه تطويق المفهوم الحقيقي للدلالة في اللغة، لأنها أعظم شأنًا من أن يوفيهما تعريف حق ماهيتها: إنها روح اللغة. ومدار حركة اللفظ فيها. وما من شك في أن التكامل المعرفي الذي أصبح من أهم صفات المعرفة المعاصرة. دفع بالعلوم إلى التمازج والتلاقح بالرغم من التوجه الملح نحو الاختصاص بدافع تحديد الحقول العلمية.

ويعتبر علم النحو والصرف من أكثر المجالات اللغوية تعرضاً لتهمة الجفاف اللغوي الذي يسلط على النص والحقيقة عكس ذلك. وإنما جوهرياً يتعانق فيهما الشكل والمعنى معاً. وليس أدل على ارتباط النحو بالمعنى من أن هذا العلم نشأ وترعرع في حضان علم المعاني. لقد نشأ "وهو على صلة وثيقة بالمعاني. فكانت للنحاة الأوائل عنايتهم

الفائقة بدراسة الكلام العربي. والوقوف على أساليب التعبير به. والبحث فيما يعرض لها من تعريف وتنكير. وتقديم وتأخير. وإضمار وإظهار وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباتها"².

إن العلاقة المستقرة ما بين علم الدلالة والنحو والصرف باتت قارة لا نقاش فيها. لأنها تعبر عن الشمولية التي يتسم بها التفكير اللغوي في قراءة وفهم النص. ولكي نفهم معنى الصيغة ووظيفتها داخل النص؛ لابد أن ندرك البعد الدلالي للبنية؛ ونلمس الفرق بينها وبين الكلمة. يقول تمام حسان: "البنية إطار ذهبي للكلمة المفردة وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد؛ وربما قرب ذلك الفهم أن نقول إن البنية مفهوم صريفي لا ينطق؛ وإن الكلمة مفهوم معجمي منطوق بالقوة؛ وإن اللفظ مفهوم استعمالتي تتحقق به الكلمة بالفعل بواسطة النطق أو الكتابة في محيط الجملة."³

وليس المعنى من هذا أن مبنى المفوض الجامد الذي ليس له صيغة صرفية لا يقدم معنى وظيفي داخل التركيب؛ فإن هذه البنية الجامدة هي معطى للتصور الذهني للكلمة.

و"إن الإعراب يرتبط ارتباطاً حميماً بالمعنى؛ إذ هو "وليد التركيب وانعكاس لمعان تحدث في الكلام مصاحبة لعملية التركيب."⁴ وفي خضم هذا التحول المفاهيمي أخذ علم الدلالة يستحوذ على مساحات معرفية واسعة جعلت منه علماً جامعاً لا يسهل الاستغناء عنه لدرجة دفعت اللغوي (بالمر) للقول رداً على تحليلات تشومسكي للبنية العميقة والبنية السطحية. "ليس هناك تركيب عميق؛ ولو كان هناك

تركيب عميق فهو ليس خاصا ببناء؛ وإنما هو دلالي أي أن التركيب العميق الوحيد هو علم الدلالة"⁵.

وضمن الرأي ذاته، " يؤكد جاكسون أن "النحو" هو الركيزة التي يركز عليها المعنى."⁶ حيث خصص فصولا من كتابه "مقالات في علم اللغة العامة." لدور قواعد النحو في بنية النص الشعري؛ سواء توافقت الجملة الشعرية مع القواعد أم انحرفت عنها؛ ويقول إنه إذا تخطت الجملة القواعد النحوية؛ فإنما تتحول إلى كلمات متجاوزة ذلك لأن العلاقة وثيقة بين النحو والمعنى؛ ويضرب مثلا على ذلك بالجملة الشهيرة التي استخدمها تشو مسكي تدليلا على درجة من درجات "النحوية" وهي :

"أفكار عديمة اللون خضراء تنام في غضب."

إذ كتب معلقا :إذا فككنا العبارة فسوف نجد لدينا "مسندا إليه" في صيغة الجملة "أفكار" يسند له حدث "تنام" وكل من المسند إليه والمسند له وصف؛ فالأفكار عديمة اللون وخضراء؛ والنوم الهادئ في غضب. وأيا كانت درجة "نحوية" هذه الجملة أو درجة قبولها فإنها تبقى في نظر جاكسون جملة؛ وتحفظ في وضعها هذا بطبقة أولى من طبقات المعنى؛ لأنها مع هذا تحترم العرف النحوي هنا من حيث العلاقات؛ أما إذا انتهكت النحو بأن تكتب هكذا. "غضب في هادئة خضراء لها تنام اللون عديمة أفكار." فلن تكون الحال هكذا جملة ولن يكون لها معنى؛ ولكنها مجرد كلمات متجاوزة. إذن التعليق بين الكلمات هو ما يكسب الجملة معناها.

مصادر ومراجع البحث

1. الجرجاني - التعريفات ص : 140
2. د. قيس إسماعيل الأوسي. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين جامعة بغداد.
- بيت الحكمة. 1988 ص 25
3. د. تمام حسان البيان في روائع القرآن. عالم الكتب 1413 - 1993 ط 1: ص: 17
4. د. ممدوح عبد الرحمان. لسان عربي ونظام نحوي. دار المعرفة الجامعية.
- مصر. 1999. ص: 87
5. د. رجاء عيد. البحث الأسلوبي معاصرة وتراث. ص: 62
6. فاطمة الطبال بركة. النظرية الألسنية عند رومان جاكسون ص: 78. المؤسسة
- الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع عام 1993.